أخي الحبيب الشيخ معاذ

الكاتب : مجاهد مأمون ديرانية

التاريخ : 5 أغسطس 2014 م

المشاهدات : 4332

أخي الحبيب الشيخ معاذ السلام عليكم ورحمة الله...

إسمح لي بأن أخالفك مخالفةَ الأخ لأخيه، مع كل ما أحمله لك في قلبي من المودة، والاحترام. وما دفعني إلى الردّ العلني إلاّ ما دفعك إلى إعلان مشروعك باديَ الأمر، وهو إحساسُنا بثقل المسؤولية وإدراكُنا أنها قضية شعب وبلد وليست من قضايا ومصالح أفراد الناس التي تعالَج في خصوصية وكتمان.

إن الإنسان حريص ـبفطرتهـ على بناء دنياه ولا يحبّ لها الخراب، وهو يتشبث بالحياة ويكره الموت لنفسه ولمن يحب، ولكنه يَقبل بخراب دنياه إذا كان الثمن بناء آخرته، وهو يُقبل على الموت غيرَ هيّاب عندما يكون البديل هو الاستعباد.

هذه التضحية فطرة أيضاً، كفطرة حب الدنيا وكراهية الموت، وهي فطرة إنسانية وليست إسلامية بالضرورة، وقد قدّم غيرُنا من الشعوب والأقوام ما يصعب تخيّله من التضحيات العِظام للتخلص من ذلّ الاستبداد والاستعباد، فمنها شعوب قدّمت من أنفسها واحداً من كل عشرة، ومنها شعوب رضيت بأن يُهدم ثلاثة أرباع عمرانها، ولم تستكثر تلك التضحيات لبلوغ الغاية.

فلماذا يَقوى غيرُنا على سلوك هذا الطريق ونعجز نحن عنه؟ أغيرُنا أكثرُ منّا رجولة وبطولة؟ لا والله، وما تجرّعْنا كؤوسَ المذلة حتى الثمالة في خمسين سنة عوابس إلا عندما أصابنا الوَهْن، حُبّ الدنيا وكراهية الموت، ولن ترتفع عنا الذلّة حتى نكره الدنيا ونحب الموت، وصدق الصادق المصدوق عليه صلاة الله.

وها هم أبطال سوريا يقدّمون الموت الكريم على الحياة الذليلة، ولقد قطعوا في الطريق إلى حريتهم الشوطَ الطويل وبذلوا كرائم الأنفس والتضحيات، فهل يجوز أن نقول لهم اليوم: "كفى، اتركوا السعي إلى الغاية التي خرجتم لتحقيقها قبل ثلاث

سنين وعودوا إلى ما كنتم فيه"؟

هل يحتاج كرام أهل الشام إلى تشجيع للمضيّ إلى آخر الطريق أم إلى تخذيلٍ يدفعهم إلى الانهيار والاستسلام في وسط الطريق؟

وهَبْ أن طريق الاستقلال طال، فهل يعني طولُه أن نستسلم ونعجز عن المشي فيه إلى آخره؟ وما الطولُ وما القِصَر؟

هل ثلاثُ سنين وأربعٌ وخمسٌ طويلةٌ علينا وثلاثَ عشرةَ سنةً قصيرةٌ على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه؟

وها هم إخواننا في فلسطين يجاهدون منذ بضعة وستين عاماً، فهل نقول لهم: كفى؛ شاطروا اليهود في أرضكم فامنحوهم نصفَ فلسطين ولكم النصف وشطرَ الأقصى ولكم الشطر؟

صدق شوقي حين قال: "وللحرية الحمراء باب"... ما قال: بكل يد ناعمة ليّنة رَخْصة يُدَقّ، بل قال: يُدَقّ باليد التي تضرّجت بدماء التضحيات.

تلك الأيادي لا تزال تضرب بابَ الحرية وتلحّ في الضرب حتى ينفتح الباب، وما علمنا باباً إلى الحرية فُتِح من قبلُ بغير هذا الطريق. هذا هو الجواب لو كانت "كفى" لأهل الثورة، أما لو كانت "كفى" للنظام فأحسب أنها ستصنع شيئاً لو أن "كفى" صرفت عن الغنم ذات يوم ذئباً أوشك أن يفترس الغنم.

المصادر: